المجلة العربية، جامعة داكا

المجلد التاسع عشر، يونيو ٢٠١٨ م

شعر الوعظ في العصر الأموي: الذات الشاعرة والرؤية التكوينية

الدكتور محمد أرشد الحسن*

Abstract

In the history of Islam the Umayyad period (41-132AH) was shaky due to various political, social, cultural, religious and civilizational reasons which the early Muslim period did not face. Of these, political insurgency, tribalism, disagreement, dogmatism and ethical polarization took root in the society and thereby threatened its unity. Under these newly arisen circumstances which brought tremendous upheaval to the then Muslim society, some poets, realizing the need for piousness, composed sermonizing poems in order to give some moral uplift to them. These poets held reforming visions towards the society, which played a vital role to make people uphold Islamic faith and live upright. Therefore, the aim of the study is to highlight the contexts and find the dimensions which formed their visions. In order to do so, the article, firstly, deals with the necessity of sermonizing poems during Umayyad period, secondly, deals with the concept of sermonizing poem, thirdly, casts light on the formative visions of those poets, and finally, reaches a conclusion containing the findings of the article. As for the research methodology, the study follows social approach. The study reaches the conclusion that without consideration of any social context no literary critical method would completely succeed.

Keywords: Umayyad period, sermonizing poem, Poet and formative visions, contexts, social approach.

* أستاذ مساعد، قسم العربية، جامعة داكا

المقدمة

إن شعر الوعظ كان له دور كبير في توجيه المؤمن إلى الإيمانية والخير والبر والتقى والعفاف والصلاح وما شاكل ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة التي يجب التحلي بها. كما كان له دور فعال في إقامة التوازن في المجتمع بين دنيوية الدين وأخرويته أو بعبارة أسهل: بين أخلاقيات الدنيا وأخلاقيات الآخرة؛ وذلك لأن بقاء المؤمن بدون الوعظ والتذكير يجعله أكثر ميلا وأكثر تعلقا إلى الدنيا. فإذا كان الشعر —وهو أكثر ما يحبه العرب أدبا –يؤدي دور الواعظ المذكِّر المنبِّه يميل إليه المؤمن ميلا طبيعيا ويأخذ تعاليمه فيتنبه على خداع الدنيا ويستعد للآخرة؛ وذلك لقوله تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)[١]. فلما كان هذا هو الحال لشعر الوعظ في أي عصر من العصور كانت حاجته في العصر الأموي أشد نسبيا؛ إذ إن المجتمع الأموي حينئذ محْدَقا ومهددا بكثير من الاضطرابات السياسة والثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي لم تعتر الأمةَ من قبل. فكان ميدان السياسية حينئذ مهتزا بالقتال والحروب الناجمة عن الصراع بين الأحزاب السياسية الرئيسة وهي: الأمويون —وهم الحزب الحاكم– والشيعة والخوارج والزبيريون. وهذه الأحزاب الثلاثة "كانت تعارض بني أمية وتخاصمهم وتدعو إلى الانتقاض عليهم"[٢] . كذلك كان ميدان الثقافة الإسلامية مهددا بعقائد المرجئة والجبرية والمعتزلة والرافضة والشيعة والخوارج وما إلى ذلك مما يمت إلى الفرق الباطلة بصلة.[٣] وكان اللهو والمجون منتشرين من خلال الغزل والغناء والملاهي لا سيما في منطقتي الحجاز والشام.[٤] وعلى جانب آخر كان الحرمان والظلم متلازمين مع الفقراء والبداة الذين لم يتوجهوا إلى الأمصار ففشا في المجتمع الفقر والشقاء والكدية التصلعك.[٥]ففي هذا الوضع الضيق سياسيةً وثقافةً واقتصادا كان شعر الوعظ بمثابة نسيم صباح يهبّ ويُريح أو سحابة ممطرة تمطر وتخصب أو كان بمنزلة واحة في فلاة يلتجئ إليها المسافر للراحة أو منارة على شاطئ بحر تنير للسفن والملاحين. فما شعر الوعظ؟ وما مقوماته الرئيسة؟ وما

الجوانب التي شكلت رؤية الذات الشاعرة للنص الشعري الوعظي في العصر الأموي؟ هذه هي الأسئلة المحورية التي ستعالج في هذ البحث المتواضع على المنوال الآتي:

مفهوم شعر الوعظ

إن لفظة "الوعظ" هي مصدر "وعَظ – يعِظ". وقد وردت اشتقاقاتها في القرآن الكريم مثلا: قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ)[٦] وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)[٧] وما إلى ذلك. أما معنى "الوعظ" فهناك أقوال من اللغويين والعلماء في هذا الشأن نذكر من ضمنها –مثلا– ما قاله صاحب معجم مقاييس اللغة من أن: "الْوَاوُ وَالْعَيْنُ وَالظَّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. فَالْوَعْظُ: التَّخْوِيفُ. وَالْعِظَةُ الِاسْمُ مِنْهُ، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ التَّذْكِيرُ بِالْخَيْرِ وَمَا يَرِقُّ لَهُ قَلْبُهُ."[٨] ومنها قول صاحب لسان العرب: "الوَعْظ والعِظةُ والعَظةُ والمَوْعِظةُ النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب."[٩] ومنها قول ابن سيده[١٠]: "الوَعْظ والعِظَة والمَوْعِظَة: تذكِرَتك الإنسان بِمَا يُلِيّن قلبه من ثَوَاب وعقاب، وَعَظْته وَعْظاً فاتَّعَظ." ومنها قول الراغب الأصفهاني[١١]: "الوَعْظُ: زجر مقترن بتخويف." ومنها قول الأزهري[١٢]: "قَالَ اللَّيْث: العِظة: الموعظة، وَكَذَلِكَ الْوَعْظ. وَالرجل يتَّعظ إِذا قَبِل الموعظة حِين يذَكَّرُ الخَير وَنَحْوه، مِمَّا يرقّ لذَلِك قلبه. يُقَال وعظته عظة." ومنها أن "الموعظة : هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة."[١٣] ومنها أنه "يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية"[١٤]. ومنها أنه "نصح وتذكير مقترن بتخويف وترقيق"[١٥].ومنها أنه "هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل"[١٦] وإلى غير ذلك.

فهذه جملة من التعاريف للوعظ والموعظة أتى بها كبار اللغويين والعلماء. فلو دققنا النظر في مكونات هذه التعاريف لوجدنا أنها تحتوي على الموضوعات التالية:

النصح والتذكير بالقول الحق والخير، والترهيب والترغيب (ثواب وعقاب)، وإدماع العيون الجامدة، وتليين القلوب، والتأثير في النفوس، وكبح جماح النفس، وتهذيب النفس إيمانا وهداية، وإصلاح الأعمال الفاسدة، والبعث على العمل الصالح وما شابه ذلك.

فلو تمعنا النظر في هذه الموضوعات لأدركنا أنه تركز على مضمون الوعظ، والمتلقي، وأسلوب الأداء، ووظيفة الوعظ، والغاية منها. أما الواعظ –وهو المصدر الذي يصدر عنه الوعظ والموعظة– فلا يهتم به أي تعريف إلا ما جاء به المغذوي في تعريفه للموعظة حيث يقول إن الموعظة "نصح وتذكير مقترن بتخويف وترقيق"[١٧]؛ فإن في كلمة "النصح" دلالة على إخلاص الواعظ وصدقه كما يقال: "نَصَحْتُ له نَصيحتي نُصوحاً أَي أَخْلَصْتُ وصَدَقْتُ"[١٨]. لكن مجرد هذه الصفة لا تكفي ولا تُكمل مفهوم الواعظ الحقيقي؛ فإن فعالية موعظته تتحقق وبالتالي يتّعظ الموعوظ ويذّكّر إذا كان الواعظ متصفا بما يعظ به. وجاء التأكيد على هذه الصفة في قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[١٩]. وما أحسن ما قال رجاء[٢٠] بن سهل[٢١] في هذا الشأن [ب. الكامل؛ ق. المتواتر]:

وَكَأَنَّ مَوْعِظَةَ امْرِئٍ مُتَنَازِحٍ ** عَــنْ قَوْلِهِ بِفِعْلِــهِ هَذَيَانُ

فنرى أن الواعظ يجب أن تتوفر فيه صفة العامل بالعلم. هذا إلى أن هذه الموضوعات المتعلقة بمفهوم الوعظيات متفرقة في تعاريف شتى لم تجتمع في تعريف واحد في حين أن تواجدها في تعريف واحد أصبح لازما؛ إذ إننا نتاول الوعظيات في هذا البحث المتواضع من وجهة نظر الأدب. والأدب المعاصر يهتم بالمبدع والنص والمتلقي جميعا. فالتعريف المختار للوعظ عندنا هو كالتالي:

"تذكير عن طريق الترغيب بحسن العاقبة والترهيب بسوء العاقبة، صادر عن المخلص العامل بالعلم على الوجه الذي يرقّق قلب الموعوظ له ويزيد نفسه إيمانا وهداية ويبعث على العمل".

ففي هذا التعريف لم نأت بـ "التذكير بالقول الحق" بل اكتفينا بالتذكير عن طريق الترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب؛ لأن لفظة "الحق" أصلها "إحكام الشيء وصحته"[٢٢]، وفي الاصطلاح الشرعي هو عبارة عن نقيض الباطل والضلال كما جاء في الآية: (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)[٢٣]، وفي الآية: (فَذَلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ)[٢٤].[٢٥]ولا يتصور أن الترغيب بثواب الآخرة والترهيب بعذابها باطل وفيه ضلال؛ لأن منهج الوعظ بالترغيب والترهيب صحيح وثابت بالقرآن والسنة النبوية على حد سواء. فلا داعي، من وجهة نظرنا المتواضعة، إلى ذكر لفظة "الحق" بشكل مستقل يوهم أنه شيء خارج عن الترغيب والترهيب. بل توجد صفة الحقيّة في الترغيب والترهيب جميعا.

وكذلك تجاهلنا "التذكير بالخير"؛ لأن "الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه"[٢٦]. ولا يخفى أن الترغيب بثواب الآخرة والترهيب بعذاب النار يميل إليهما الناس فطرة وجبلة ما جعلنا نرى أنه لا داعية إلى ذكره.

وقد يتساءل أحد أن كلا من الخير والقول الحق عام شامل يشمل الترغيب والترهيب جميعا، فلماذا ركزنا على الأخيرين وتجاهلنا الأولين؟ والجواب هو أن أكثر أصحاب المعاجم اللغوية من القدماء يذهبون إلى أن الوعظ يدل على الترهيب والتخويف. ومن هؤلاء المعجميين ابن منظور وابن فارس والراغب الأصفهاني وغيرهم كما أسلفنا ذكره. لذا، ذهبنا إلى ما ذهب إليه الأقدمون. هذا وهناك احتمال أن من عرّف الوعظ بالتذكير بالقول الحق والخير أراد بهما الترغيب والترهيب.

فبناء عليه، يبدو لنا أن المقومين الأساسيين للوعظ هما التغريب والترهيب. لذا، اكتفينا بهما دون غيرهما.

ويُلاحظ أننا ذكرنا لفظة "الموعوظ" التي كانت غير مذكورة في التعاريف السابقة. كما ركزنا على الظروف والأحوال المحيطة بالموعوظ له بقولنا "على الوجه الذي...ألخ"؛ وذلك لأن يؤثر في نفسه ويبعثه على ما يوعظ به؛ لأن عدم مراعاة أحوال الموعوظين قد يتسبب بفشل الموعظة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم- يختار الأوقات للموعظة خشية السآمة. كما جاء في الحديث الشريف: (كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)[٢٧]. فبالتالي مراعاة الظروف والأحوال للموعوظين على الأهمية بمكان في فن الوعظ.

فإذا حصلنا على تعريف الوعظ تسنى لنا الآن أن نعرج على تعريف شعر الوعظ الذي هو نقطة دراستنا في هذا المقام. فبناء على ما سبق يمكن أن نقول بأن شعر الوعظ هو:

"تعبير فني إيقاعي- داخليا أو خارجيا أو جميعا معا- منطوق أو مكتوب، صريح أو ضمني، صادر عن مبدع متصف بالإخلاصية والعاطفة الإسلامية الصادقة، ما يرقّق قلب المتلقي ويحثّه على العمل الصالح ويزيد نفسه إيمانا وهداية، بما يحتوي عليه من تذكير بالترغيب والترهيب، وبما يتضمن من قوة صدق أو حسن أسلوب أو تخييل أو تصوير أو إيحاء أو إغراب أو جميع ذلك معا."

فمما يلفت إليه النظر في هذا التعريف هو أننا لم نذكر مكون "العمل بالعلم" الذي يعد من أهم شروط للتأثير في الموعوظ بشكل عام. والسبب في ذلك يرجع إلى أن عدم توافر هذه الصفة في شعر الوعظ لا يعتد به في أدب الواعظ وشعره على الرغم من أنه يعد قصورا في حق شخصية الواعظ في فن الوعظ؛ ذلك لأن التأثير في المتلقي في مجال الأدب رهن بصدق عاطفة الأديب بما في ذلك الأسلوب والتخييل وما يمت إلى عناصر الأدب بصلة. وكل هذه المكونات تم ذكرها في التعريف تفاديا قصورا في الأدبية.

الذات الشاعرة والرؤية التكوينية

إن الذات الشاعرة هي مكان ميلاد الشعر وعنها يصدر النص الشعري. فأيما منهج نقدي يتجاهل هذا المصدر الأصلي للنص الشعري ويتجاوزه إلى النص أو المتلقي مباشرة يجعل المنهج ناقصا في معالجة النص الشعري؛ ذلك لأن الشاعر أو المبدع هو "مركز العملية الإبداعية من حيث كونه يشكل المكونات الجنينية للنص حتى يشب عن الطوق ويصل إلى المتلقي، أي أن المدبع هو المسؤول الرئيس عن عملية تخلق النص وتكوينه"[٢٨].

وبالنسبة للرؤية في الشعر فهي تدل على "تعميق لمحة من اللمحات أو تقديم نظرية شاملة وموقف من الحياة، يفسر الماضي ويشمل المستقبل"[٢٩]، أو تقدم "صورة أو نظرة إلى العالم أو تبصرا في مصير الإنسان أو تقييما للصراع بين الخير والشر، أو كل ما هو تعبير من الكاتب عن قسم من فلسفته للحياة في قصائد مختارة"[٣٠].

فالرؤية، إذن، لا بد من أن تسلط الضوء على شيء يتصل بالبيئة المحيطة بالمبدع أو بالمجتمع البشري الذي يؤدي بالمبدع إلى الإدلاء بفلسفته للحياة. وبالتالي قد يكون مستوى الرؤية نفسيا أو اجتماعيا أودينيا أو سياسيا أوحضاريا أو عالميا. وبالتالي المقصود بالرؤية التكوينية للشاعر هي الرؤية التي "تتشكل من خلال الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية والدينية والحضارية التي شكلت وعي المبدع أو المنتج للنص"[٣١].

فإذا تبين لنا مفهوم الرؤية التكوينية للشاعر أو المبدع تسنى لنا الآن أن نعرّج على المكونات التي شكلت وعي الشعراء ورؤاهم في الشعر الوعظي في العصر الأموي. ويلي بعض التفصيل عن ذلك:

(أ) المكون النفسي

إن البعد النفسي عند شعراء الوعظيات في العصر الأموي كان من الدوافع الأساسية وبالتالي من المكونات الرئيسة لشعر الوعظيات. فالصراع بين الذات والزمن وغلبة الزمن على الذات في النهاية شكّل نقطة مهمة وركيزة أساسية في شعر الوعظيات. فالذات

الإنسانية غير متبقية على وجه الأرض، فهي لا بد لها من أن تلقى أجلها وتلتقي مع ربها، مما جعل شعراء الوعظيات يعبرون عن مرور الزمن وزوال الحياة لكيلا تغتر النفس الإنسانية بغرور الدنيا ومتاعها الزائل ولكي يتنبه ويستعد لذلك ويكسب زاد الآخرة قبل فوات الأوان. وإليه يشير قول أعشى[٣٢] همدان[٣٣] على النحو التالي [ب. البسيط؛ ق. المتراكب]:

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ أمْسَـــىْ نَاْعِماً جَـــذِلاً ** فِيْ أهْلِهِ مُعْجَباً بِالْعَيْشِ ذَاْ أنَـــقِ[٣٤]
غِـــرّاً أتِيْحَ لَهُ مِـــنْ حَـــيْنِهِ عَرَضُ ** فَمَاْ تَلَبَّثَ حَتَّىْ مَاْتَ كَالصَّـعِقِ[٣٥]
ثُمَّتَ أضْحَىْ ضُحىً مِنْ غِبِّ ثَالِثَةٍ ** مُقَنَّعاً غَيْرَ ذِيْ رُوْحٍ وَ لَاْ رَمَـــقِ
يُبْكَىْ عَلَيْهِ وَأدْنَوْهُ لِمُظْلِمَـــةٍ ** تُعْلَىْ جَوَانِبُـهَاْ بِالتُّـــرْبِ وَالْفِـلَقِ
فَمَـــاْ تَزَوَّدَ مِمَّاْ كَـاْنَ يَجْـمَعُهُ ** إلَّاْ حَنُوْطاً وَمَاْ وَاْرَاْهُ مِـــنْ خِـرَقِ
وَغَيْرَ نَفْحَـةِ أعْوَادٍ تُشَـــبُّ لَهُ ** وَقَلَّ ذَلِكَ مِـنْ زَادٍ لِمُنْطَلِـقِ

فالشاعر يصف هنا فجاءة حضور الموت وعدم تنبه الإنسان إليه وقلّة زاده الذي يحمله معه في قبره ما يدل على إحساس الشاعر في داخل النفس بضعف الإنسان أمام الدهر. وهذا ما يجعله يقول الشعر في غلبة الموت على البشر.

كما أن الصراع الدائم بين "الأنا الأعلى" و"الأنا" و"الهو" في النفس البشري كون رؤية لشعراء الوعظيات. فيلاحظون أن "الهو" في الصراع المستمر مع "الأنا الأعلى" و"الأنا". فـ "الهو" دائما يجذب الإنسان إلى اللهو واللعب وبالتالي يُبعده من مسلك اليقظة والحق. والشعراء الذين تبكي ضمائرهم على غفلة الناس يتمنون يقظة "الأنا الأعلى" و"الأنا" في مقابل "الهو". وهذا ما يتمثل في قول وضّاح[٣٦] اليمن[٣٧] في قوله [ب. المنسرح؛ ق. المتراكب]:

مَـــــاْ لَـــكَ وَضَّـــاْحُ دَاْئِمَ الْغَزَلِ ** أَلَسْـــتَ تَخْشَىْ تَقَاْرُبَ الْأَجَـلِ
صَلِّ لِذِي الْعَرْشِ وَاتَّخِذْ قَدَماً ** تُنْجِيْكَ يَـوْمَ الْعِـــثَاْرِ وَالزَّلَـــلِ[٣٨]

ففي البيت الأول يصور الشاعر محاولة "الأنا" لفك شرك "الهو" من خلال ملامته على خوضه في الغزليات دائما وكذلك يعظ الشاعر باتخاذ واسطة تنجيه يوم القيامة. فيرى الشاعر هنا رؤية تشجع على اليقظة من الغفلة وفعل الخيرات عوضا عن المنكرات.

(ب) المكون الاجتماعي

يعد المكون الاجتماعي من المكونات الرئيسة التي شكلت وعي بعض الشعراء في عصر بني أمية الذين قالوا شعرا حول الوعظيات. فللمجتمع أثر بليغ في تكوين رؤاهم حول العالم الذي عاشوا فيه. فالبيئة الصحراوية بما فيها الشاء والرعاء والجزارون لها دور فعال في تشكيل الرؤية عند بعض الشعراء الأمويين. فمن هؤلاء الشعراء علي[٣٩]بن الحسين[٤٠] الذي أنشد [ب. الطويل؛ ق. المتدارك]:

فَوَلَّـوْا عَلَيْهِ مُعْوِلِيْنَ وَكَلُّهُمْ ** لِمِثْلِ الَّذِيْ لَاْقَىْ أخُوْهُ مُحَــاْذِرُ
كَشَـاْءٍ رِتَاْعٍ آمِنَاْتٍ بَدَاْ لَــهَاْ ** بِمُدْيَتِهِ بَاْدِي الذِّرَاْعَيْنِ حَــاْسِرُ
فَرِيْعَتْ وَلَمْ تَرْتَعْ قَلِيْلاً وَأجْفَلَتْ ** فَلَمَّاْ نَأىْ عَنْهَا الَّذِيْ هُوَ جَــاْزِرُ

فرأى الشاعر أن الإنسان فيما يتعلق بالموت كالشاء الرتاع إذا أتى الجزّار وذبح أختها أجفلت وتنفرت وهربت ثم "عادت إلى مرعاها ونسيت ما في أختها دهاها"[٤١]. فالإنسان لا يريد أن يتنبه على أجله، وكأنه يقتدي بالنعام في حق الموت.

هذا وقد كان في المجتمع الأموي ممارسة الغزليات بشكل ملحوظ. وكانت هذه الغزليات متلونة بلونين: الغزل العفيف والغزل الإباحي.أما الغزل العفيف فقد اشتهر فيه قيس بن ملوح المعروف بمجنون ليلى[٤٢] وجميل بن معمر المعروف بجميل بثينة[٤٣]. وأما الغزل الإباحي فقد اشتهر فيها عمرو بن أبي ربيعة[٤٤]والأحوص[٤٥] وغيرهما.[٤٦] ففي هذا الوضع الاجتماعي تأثر شاعرنا وضاح اليمن[٤٧] بالغزل وأسهم في تطروه بشكل ملحوظ. ثم تفكر في مصيره ورأى أن الانغماس في بحر الغزليات لا تحميه من الواقع المر، ألا وهو الموت. فقال [ب. المنسرح؛ ق. المتراكب]:

مَـاْ لَـكَ وَضَّـــاْحُ دَاْئِمَ الْغَزَلِ ** أَلَسْـــتَ تَخْشَىْ تَقَاْرُبَ الْأَجَـلِ
صَلِّ لِذِي الْعَرْشِ وَاتَّخِذْ قَدَماً ** تُنْجِيْكَ يَـوْمَ الْعِـــثَاْرِ وَالزَّلَـــلِ

فالرؤية التي رآها وضاح هي أن الإنسان يلزم خشية قرب الأجل ويصلّي ويتخذ وسيلة للنجاة يوم التناد، ولا ينبغي له أن يتمتع باللهو واللعب دائما.

(ج) المكون الثقافي والديني

كان المكون الثقافي والديني من أكثر المكونات تأثيرا في وعي شعراء عصر بني أمية بشكل عام. فشعراء هذا العصر نشؤوا وترعرعوا في بيئة دينية وثقافية إسلامية واسعة. فكما أن الزهد والتقوى من شيم علماء هذا العصر، كذلك التفسير والحديث والفقه الإسلامي والعلم الكلام والمناظرات الدينية من أبرز مظاهر هذه الحقب من الزمان.[٤٨] فعند شعراء الوعظيات مثل علي بن الحسين[٤٩]كان الدين أهم شيء في حياة المسلم. فلا ينبغي له أن يهتم بكسب المال على حساب الدين. إنه قال [ب. الطويل؛ ق. المتدارك]:

أَتَرْضَىْ بِأَنْ تَفْنَى الْحَيَاْةُ وَتَنْقَضِيَ ** وَدِيْنُكَ مَنْـقُوْصٌ وَمَـــاْلُكَ وَاْفِرُ

فكانت رؤيته أن الإنسان المسلم لا يليق به أن يرضي لنفسه وفرة المال وهو مقصّر في أمور الدين. فالدين أولى وأجلى وأهم وأكبر لدى المسلم.

(د) المكون الحضاري

أتى الإسلام وأطلع الناس من خلال الوحي القرآني والحديثي على بعض الحضارات السابقة من مثل حضارة عاد وثمود وغيرهم ليخبرهم بمصير تلك الأمم السابقة وسوء عاقبتهم لكفرهم وعنادهم وتمردهم على حكم الله وطاعته. فجاء في القرآن –مثلا–: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ- إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ - الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ - وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ - وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ - الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ - فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ – فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)[٥٠]. فهذه الآيات القرآنية شكلت إلى حد كبير جدا وعى

بعض شعراء عصر بني أمية وجعلتهم يرون رؤية واضحة حول مصير الإنسان. ومن خير مثل لذلك قول النابغة[٥١] الشيباني[٥٢]على النحو الآتي [ب. الوافر؛ ق. المتواتر]:

إذَاْ مَاْ لَـيْلَةٌ مَـــرَّتْ وَيَـــوْمٌ ** أتَـــىْ يَوْمٌ وَلَيْلَتُهُ جَـــدِيْدُ

أبَاْدَ الْأوَّلِيْـــنَ وَكُـــلَّ قَرْنٍ ** وَعَاْداً مِثْلَمَاْ بَـــاْدَتْ ثَمُـــوْدُ

وَلَاْ يُنجِيْ مِنَ الْآجَاْلِ أرْضٌ ** يُحَلُّ بِهَاْ وَلَا الْقَصْرُ الْمَشِيْدُ

فالدهر —وهو الأجل– يبيد كل أمة مضت ولم تنج من قبضته أرض معمورة ولا قصر مشيد ولا حصن منيع. فالرؤية التي حصلت لدى الشاعر حول حتمية موت الإنسان استمدادا من القرآن تكثّف أن الإنسان مهما كانت قدرته ومهما بلغت سلطته فإنه يأتيه أجله في موعده المعين.

الخاتمة

وبالجملة فإن النقاط التي توصلنا إليها في البحث تتلخص فيما يأتي:

١. أن المبدع أو المؤلف للنص هو المصدر الأول للنص الأدبي.

٢. تجاهل المدبع أو المؤلف للنص يجعل المنهج النقدي ناقصا.

٣. الجوانب التي شكلت وعي الشعراء في عصر بني أمية فيمايتعلق بالشعرالوعظي فهي المكون النفسي والمكون الاجتماعي والمكون الثقافي والدين والمكون الحضاري.

٤. أن الرؤى لشعر الوعظيات تتلخص في النقاط الآتية:

أ. غلبة "الأنا الأعلى" و"الأنا" على "الهو".

ب. دوام التيقظ حول قِصر الحياة وفجاءة مجيء الأجل.

ج. الاستعداد الكافي للقاء الموت قبل فوات الأوان.

د. تفضيل الاهتمام بإكمال الدين على الاهتمام بإنماء المال.

ه. أخذ العبرة من الأمم السابقة التي أهلكها الله تعالى لعدم طاعته[٥٣].

المراجع والمصادر

١. سورة الذاريات، الآية: ٥٥.
٢. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط ٨ (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ٨٥.
٣. مرجع سابق، ٧٥–٨٠.
٤. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م)، ٣٢٠.
٥. حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، د. ط (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ٣٢–٤٧؛ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط ١٠ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ج ١، ص ١٣١؛ إنعام موسى إبراهيم رواقه، الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي (عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ٢٤٧–٢٤٨.
٦. سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
٧. سورة النحل، الآية: ١٢٥.
٨. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م)، ج ٦، ص ١٢٦.
٩. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، ج ٧، ص ٤٦٦.
١٠. ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ه = ١٩٩٦م)، ج ٤، ص ٦٢.
١١. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، د. ط (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ه)، ٨٧٦.
١٢. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج ٣، ص ٩٣.
١٣. الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م)، ٢٣٦.
١٤. الشيخ علي محفوظ، هداية المرشد إلى طرق الوعظ والخطابة، ط ٩ (القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، ٧١.
١٥. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، ط ٢ (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ=٢٠١٠م)، ٧١٥.

١٦. الشيخ علي محفوظ، هداية المرشد إلى طرق الوعظ والخطابة، ٧٢.

١٧. عبد الرحمن بن محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، ٧١٥.

١٨. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٦١٥.

١٩. سورة البقرة، الآية: ٤٤.

٢٠. هو أبو نصر رجاء بْن سهلالصاغاني، سكن ببَغْدَاد وَحدث بها عَنْ حَمَّاد بْن خَالِد الْخَيَّاط وَأبي قطن عَمْرو بْن الهيثم، وإسماعيل بن علية، وَأبي مسهر عَبْد الأعلى بْن مسهر، وأبي اليمان الحكيم بْن نافع. روي عنه أَبُو عُبَيْد بْن المؤمل الناقد، وَالقاضي الْمَحَامِلِيّ، وَمحمد بْن مخلد، وكان ثقة. [أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ج ٨، ص ٤١٠.

٢١. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م)، ج ١، ص ٧٠٢.

٢٢. مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥.

٢٣. سورة الحج، الآية: ٦٢.

٢٤. سورة يونس، الآية: ٣٢.

٢٥. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م)، ج ٨، ص ٣٣٦.

٢٦. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٣٢.

٢٧. صحيح البخاري، ح ٦٨، كتاب العلم، باب ما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ٢٥/١.

٢٨. مراد عبد الرحمن مبروك ورضوان منيسي عبد الله ومنصور محسن ضباب، نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق (جده: مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٣٤هـ =٢٠١٣م)، ١٦٦.

٢٩. محي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)، ٢٢.

٣٠. المرجع السابق، ٣١.

٣١. مراد عبد الرحمن مبروك، نظرية الاتصال الأدبي بني التنظير والتطبيق، ١٥٩.

٣٢. هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ابن نظام ابن جشم الهمدانيّ، شاعر اليمانيين، بالكوفة، وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. وكان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به. وكان من الغزاة في أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه، واستولى على سجستان معه، وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جئ به إلى الحجاج أسيرا بعد مقتل ابن الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٣ للهجرة. [خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢هـ)، ج ٣، ص ٣١٢.]

٣٣. أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، ط ٦ (بيروت: دار صادر، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م)، ج ٦، ص ٤٥.

٣٤. جذِل: فريح؛ أنق: سرور.

٣٥. يوجد في الصبح المنير لفظة "غدا" في مكان "غرا". [كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى والأعشين الآخرين، تحقيق: رودلف جاير، د. ط (بيانة–إسبانيا: مطبعة آذلف هلسهوسر، ١٩٢٧م)، ٣٣٦]

٣٦. هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال، من آل خولان، من حمير. شاعر، رقيق الغزل، عجيب النسيب. كان جميل الطلعة يتقنع في المواسم. له أخبار مع عشيقة له اسمها (روضة) من أهل اليمن. قدم مكة حاجا في خلافة الوليد ابن عبد الملك، فرأى (أم البنين) بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد، فتغزل بها، فقتله الوليد نحو ٩٠ هـ. [الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٢٩٩]

٣٧. الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج ٦، ص ١٦١.

٣٨. قدم: سبب.

٣٩. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، الملقب بزين العابدين، رابع الائمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: " علي الأصغر " للتمييز بينه وبين أخيه " عليّ " الأكبر. مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم. وليس للحسين " السبط " عقب إلّا منه. توفي سنة ٩٤ للهجرة. [الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٢٧٧.]

٤٠. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤١، ص٤٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (جيزة– مصر: دار هجر للطابعة والنشر والتوزيع الإعلان، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م)، ج ١٢، ص ٥٠١.

٤١. المرجع السابق.

٤٢. قيس بن الملّوح بن مزاحم العامري: شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنونا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب " ليلى بنت سعد ". قيل في قصته: نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حينا في الشام وحينا في نجد وحينا في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله. توفي سنة ٦٨ للهجرة. [الزركلي، الأعلام، ج ٥، ٢٠٨]

٤٣. أبو عمر جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، شاعر، من عشاق العرب. افتتن ببثينة، من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقلّ ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. وكانت منازل بني عذرة في وادي القرى (من أعمال المدينة) ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية، فقصد جميل مصر، وافدا على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه عبد العزيز وأمر له بمنزل فأقام قليلا ومات فيه سنة ٨٢ للهجرة. [الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٣٨]

٤٤. أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورُفع إلى عمر ابن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاجّ ويشبب بهن، فنفاه إلى " دهلك " ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقا وذلك سنة ٩٣ للهجرة. [الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٥٢.]

٤٥. عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة، شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد ابن عبد الملك (في الشام) فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى " دهلك " وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وأطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه. ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه. مات سنة ١٠٥ للهجرة. [الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١١٦.]

٤٦. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ص ٤٤٠–٤٥٤.

٤٧. الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج ٦، ص ١٦١.

٤٨. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ٥٥–٨٥.

٤٩. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤١، ص ٤٠٨.

٥٠. سورة الفجر، الآية: ٦–١٣.

٥١. هو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حضيرة ابن قيس، من بني شيبان. شاعر بدوي، من شعراء العصر الأموي. كان يفد إلى الشام فيمدح الخلفاء، من بني أمية، ويجزلون عطاءه. مدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده. وله في الوليد مدائح كثيرة. ومات في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٥ للهجرة. [الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٣٦]

٥٢. النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م)، ص ٣٤.